



## The Reflection of the Event of Ghadir Khum and Believing in Clear Text in the Description of Nahj al-Balaghah by Ibn Abi al-Hadid Mu'tazili

Ali Akbar Abbasi<sup>1</sup>

Received: 03/10/2022

Accepted: 03/10/2022

### Abstract

The examination and study of Ibn Abi al-Hadid's view about Ghadir and clear text on the succession of Imam Ali in his most significant work, *the description of Nahj al-Balaghah* is the "main issue" of this paper, which has been carried out in a descriptive and analytical method. The hypothesis of this study is that even though Ibn Abi al-Hadid does not consider the Ghadir event as a clear text for the caliphate of Ali, he emphasizes its importance and mentions important examples of the celebration of Ghadir in his work, emphasizing the type of belief of the Imamiyah in those celebrations. Based on the findings of this study, Ibn Abi al-Hadid Mu'tazili accepts the event of Ghadir and the praise of the Messenger of God (Prophet Mohammad) from Ali and even mentions the views of the Imamiyah scholars in the context of the text on the caliphate of Imam Ali with his tolerance. He also mentions the prayers of the Prophet for Ali in Ghadir. In his work, he has also rejected the celebrations of Shias on the anniversary of Ghadir Khum and its philosophy, a topic that was less discussed in non-Imamiyah works before the Mongol invasion. He does not accept or interpret the narratives that are considered clear text on the Imamate of Imam Ali.

### Keywords

Ghadir, Imam Ali, Ibn Abi al-Hadid, description of Nahj al-Balaghah, Mu'tazileh Baghdadi.

---

1. Associate Professor, Department of History, University of Isfahan, Isfahan, Iran. aa.abbasi[at]litr.ui.ac.ir.

\* Abbasi, A. A. (2022). The Reflection of the Event of Ghadir Khum and Believing in Clear Text in the Description of Nahj al-Balaghah by Ibn Abi al-Hadid Mu'tazili. *Journal of Al-Tarikhva Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah*, 2(3), pp. 10-24. DOI:10.22081/IHC.2022.64993.1016

## انعكاسات واقعة غدِير خم والاعتقاد بالنص الجلي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي

علي أكبر عباسي<sup>١</sup>

تاريخ القبول: ٢٠٢٢/١٠/٠٣

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/١٠/٠٣

### ملخص

البحث الحالي عبارة عن دراسة لآراء ابن أبي الحديد في واقعة الغدير والنص الجلي على خلافة الإمام علي عليه السلام الواردة في أشهر مصنفاته أعني شرح نهج البلاغة. أسلوب البحث وصفي وتحليلي وينطلق من فرضية أنه على الرغم من أن ابن أبي الحديد لا يرى في واقعة الغدير نصاً جلياً إلا أنه في الوقت نفسه يؤكد على أهمية الواقعة ويستعرض في كتابه المذكور أمثلة مهمة لإقامة احتفالات عيد الغدير مع التركيز على طبيعة العقيدة الإمامية بتلك الاحتفالات. يتوصل هذا البحث إلى أن ابن أبي الحديد المعتزلي يعترف بواقعة الغدير وعبارات التكريم والثناء التي قالها رسول الله ﷺ في حق الإمام علي عليه السلام حتى أنه يستعرض من منطلق نظرة التسامح التي يحملها آراء كبار علماء الإمامية في مسألة النص على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر أدعية رسول الله ﷺ المروية في حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كما أنه يتناول في كتابه شرح نهج البلاغة الاحتفالات التي يقيمها الشيعة في يوم غدِير خم وفلسفة إقامتها، وهو الموضوع الذي قلما تطرقت إليه المصادر غير الإمامية التي يعود تاريخها إلى ما قبل حملة المغول. لكنه مع ذلك يرفض الإدعان للروايات التي تشكل نصاً جلياً في إمامة الإمام علي عليه السلام ويجد له في التأويل مهرباً.

### الكلمات المفتاحية

الغدِير، الإمام علي عليه السلام، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، معتزلة بغداد.

١. دكتوراه في التاريخ الإسلامي، أستاذ مشارك في قسم التاريخ بجامعة أصفهان، إيران. aa.abbasi[at]ltr.ui.ac.ir

\* عباسي، علي أكبر. (٢٠٢٢م). انعكاسات واقعة غدِير خم والاعتقاد بالنص الجلي في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي. مجلة تاريخ والحضارة الإسلامية، رؤية معاصرة، مجلة نصف سنوية (٣) ٢، صص ١٠-٢٤. DOI:10.22081/IHC.2022.64993.1016

## مقدمة

واقعة الغدير التي حدثت في الشهور الأخيرة من الحياة المباركة للنبي الأكرم ﷺ هي من أهم الحوادث التي مرّت على الدين الإسلامي الحنيف، وقد كتب عنها علماء من مشارب شتى مسلمين وغير مسلمين، وطرحوا تصوّراتهم وآراءهم بشأنها. ويندر أن يتنكر أحد لواقعة شهد لها ورواها أكثر من ٣٠ صحابياً (المظفر، ١٣٧٧ش، ج٢، ص ٧٠) وإذا كان نفر قليل ينكر وجودها لكونها لم تُذكر في صحيح البخاري ومسلم فليس هذا بمثابة دليل منطقي على رفضها، مع العلم أنّ قراءات وتفاسير العلماء عن واقعة الغدير متباينة. أعني زوايا نظر الإمامية والزيدية والمعتزلة وأهل الحديث والحنابلة وغيرهم إلى هذه الواقعة مختلفة، حتى الزيود والمعتزلة يختلفون فيما بينهم في تفسير هذه الواقعة. ويعدّ ابن الحديد المعتزلي أحد كبار المصنّفين في القرن السابع الهجري الذي طرح آراءه في كتابه شرح نهج البلاغة حول هذه الواقعة. السبب الأهم وراء تناوله هذه الواقعة وما يتصل بها من مباحث هو ميله الشديد للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد أفرد فصلاً خاصاً تحت عنوان أفضل الصحابة جميعاً. إذن، فموضوع البحث هو سبر آراء هذا العالم المسلم ودراسة طبيعة قراءته لأحاديث النبي الأكرم ﷺ فيما يخصّ واقعة الغدير. بالنسبة لمذهب هذا العالم الكبير طُرحت آراء متباينة في بعض البحوث المعاصرة وصلت أحياناً حدّ التناقض. لذا، فإنّ تحليل آراء هذه الشخصية بالنسبة لمسألة «النص» على خلافة الإمام علي عليه السلام في واقعة الغدير سوف تفتح لنا الباب للتعرف بشكل أفضل على أفكاره وعقائده عن الغدير.

### ١. ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة الكبير

هو مؤلف ومتكلم وشارح كتاب نهج البلاغة، ولد بالمدائن في ٥٨٦هـ وتوفي ببغداد في ٦٥٦هـ. أرخ لحضوره الحلقات العلمية ببغداد في السنوات ٦٠٣هـ

(ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١، ص ٢٠٥)، و ٦٠٥هـ (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٧، ص ٣١)، و ٦٠٨هـ (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١٥، ص ٢٣) و ٦١٠هـ (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧هـ، ج ٢، ص ٥٢) وكذلك في ٦١١هـ (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٢٠، ص ١٠). لقد أفاد ابن أبي الحديد فائدة عظيمة من بغداد ومكتباتها في الفترة التي سبقت حملة المغول والحرائق التي أشعلوها في هذه المدينة، واستطاع أن ينقذ الكثير من المصادر التي اعتمد عليها من الاندثار وذلك بنقل فقرات كثيرة منها وتدوينها في كتابه شرح نهج البلاغة. كان لحضوره الحلقات العلمية المتعددة لمختلف المذاهب الإسلامية في فترة الشباب (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١٥، ص ١٠١؛ ج ١، ص ٤١؛ ج ٩، ص ٢٣٥ و ٣٠٧) ومرحلة تكوين الشخصية أكبر الأثر في تبلور الروح العلمية لديه وخلق مستوى جيد من التسامح المذهبي في شخصيته وهو ما نشهده بوضوح في كل زاوية من زوايا كتابه المذكور (عباسي، ١٣٩١ش، ص ٥٣-٧٢). صنّف ابن أبي الحديد ما مجموعه ١٧ مصنّفًا في النظم والنثر، وذكر أصحاب السير في كتبهم هذه المجموعة في ترجماتهم لسيرة حياة هذا العالم وفعالياته (وجيا واغلري، ١٣٨٤ش، ص ١٩٩-٢٠٢). ولا ريب في أنّ أبرز مصنّفاته التي ضمّنها آراءه وعقائده وأفكاره هو شرحه على كتاب نهج البلاغة الذي امتدّ لعشرين مجلّدًا، والذي يعدّ لجهة الحجم والمضمون من أفضل الشروح على خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه وقصار كلماته (مهدي دامغاني، ١٣٦٧ش، مقدمة المترجم). واستغرق إتمام هذا الشرح أربع سنوات وتسعة أشهر أي من غرّة شهر رجب سنة ٦٤٤هـ حتى الثلاثين من شهر صفر سنة ٦٤٩هـ، في حين كان يعتقد أنّ هذا الشرح سوف يستغرق أكثر من عشر سنوات (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٢٠، ص ٣٤٩). كان حافزه في كتابة هذا الشرح، على الأغلب، دعم ومساندة ابن العلقمي الوزير الإمامي لآخر خلفاء بني العباس المستعصم بالله، الذي خلع عليه بعد إتمام الكتاب خلعة وفرسًا ومئة دينار (وجيا واغلري، ١٣٨٤ش، ص ٢٠٠) بيد أنّ دعم العلقمي له لم يمنعه من ردّ بعض آراء الإمامية وانتقادها في مختلف الموضوعات التي تضمنها شرحه على النهج.

## ٢. آراء علماء المذاهب المختلفة في خلافة الإمام علي عليه السلام

إحدى الخصائص التي ميزت ابن أبي الحديد احترامه الشديد لآراء مختلف العلماء وفي مختلف الموضوعات ومنها الغدير، حيث كان يكنّ احتراماً فائقاً للكتاب، وعندما كان يختلف معهم في الرأي كان يردّها بالأدلة العقلية، ولم يمنعه نقده لتلك الآراء من إبداء منتهى الأدب والاحترام إزاء العلماء وتجيدهم. كانت له مناظرات ومحاجات كثيرة مع علماء الإمامية في موضوع الغدير، وقد استعرض آراءهم وأدلتهم في إيمان أبي طالب كاملة غير منقوصة، وذكر في كل موضع في كتابه بعقيدة الشيعة الإمامية بالنص الصريح لرسول الله ﷺ على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفي الوقت الذي كان يذكرهم بكل احترام وتبجيل، كان يوجه النقد لآرائهم، كان يبجل كثيراً كل من الشريف الرضي (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١، مقدمة المؤلف)، والشريف المرتضى (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١٧، ص ١٥٤)، والشيخ المفيد (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١، مقدمة المؤلف) و ابن العلقمي (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٨، ص ٢٤٠) وكثيرين من كبار علماء الشيعة، ويذكرهم بألقاب محترمة. يستعرض ابن أبي الحديد رأي الجاحظ ورأي الإسكافي في فضائل أبي بكر والإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويقارن بينهما ومن ثمّ يدي برأيه في هذا الموضوع (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١٣، صص ٢١٥-٢٩٣). بعد ذلك يطرح رأي الغلاة في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والرأي المقابل له أعني رأي أهل الحديث السنّة، كلّ ذلك ذكره في شرحه لنهج البلاغة.

## ٣. التأكيد على أفضلية علي عليه السلام على جميع الصحابة

يؤكد ابن أبي الحديد على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لا نظير له في الصحابة، ويعتقد أنّه لا يُقارن بأيّ واحد منهم استناداً إلى أحاديث رسول الله ﷺ فيه وكذلك لجهة أفعاله في حياة النبي الأكرم ﷺ. ولا يكلّ يراعه عن الكتابة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفرادته واستثنائته في مختلف النواحي (عباسي،

١٣٨٨ش، ص ٦١). وكذلك في شرحه يعتقد ابن أبي الحديد أن الشيعة الأوائل من الصحابة مثل عمار والمقداد وسلمان وكثير من التابعين مثل أويس القرني وحتى بعض الخلفاء كالخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز هؤلاء جميعاً كانوا على هذا الرأي أعني أفضلية الإمام علي عليه السلام على كل الصحابة. وقد نظم ابن أبي الحديد أبياتاً يفصح فيها عن أفضلية حتى الحسنين عليهما السلام وكذلك بقية الصحابة مثل حمزة وجعفر على سائر الصحابة، إذ إنه يذكر أبا بكر وعمر وعثمان بعد هؤلاء المرتبطين بنحو ما بالإمام علي عليه السلام، ويلقبهم بالعتيق والفاروق وذو النورين على الترتيب:

و خير خلق بعد المصطفى	السيد المعظم الوصي
و ابنه ثم جعفر و علي	المخلص الصديق ثم عمر
و بعده عثمان ذو النورين	أعظمهم يوم الفخار شرفا
بعل البتول المرتضى على	ثم عتيق بعدهم لا ينكر
فاروق دين الله ذاك القصور	هذا هو الحق بغير مين

(ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ١١، ص ١٢٠).

بسبب عقيدته هذه، وكان عليها معظم مشايخ معتزلة بغداد، اعتبر البعض ابن أبي الحديد يقف في الوسط بين التشيع والتسنن (وچيا واگلري، ١٣٨٤ش، ص ٢٠٢) وما فتأ ذلك يثير الكثير من النقاشات واختلاف الآراء بين الباحثين حول حقيقة مذهبه. فميله بل صراحته في الإعلان عن عدم مضارعة أحد من الصحابة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام دفعت باحثين مثل عبدالسلام محمد هارون (المنقري، ١٤٠٤هـ، مقدمة المصحح) وأمين أحمد المصري إلى وصفه بالتشيع، وبعض الكتاب السنة وصفه بأنه شيعي معتدل، ومن جهة ثانية، فإن عدم اعتقاده بالنص على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وطرحه آراءً مباينة لآراء الإمامية دفع ببعض كبار علماء الشيعة إلى تصنيف ردّيات على شرحه.

#### ٤. ذكر أخبار في عقيدة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنص عليه صراحة

من بين الأمور الملفتة للانتباه في شرح ابن أبي الحديد تأكيده على الأخبار التي تبين أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول بنص رسول الله صلى الله عليه وآله على خلافته، على الرغم من أنه هو نفسه (ابن أبي الحديد) لا يعتقد بذلك. ففي شرحه للخطبة رقم ٢٢٣ حيث يفرد مجلداً كاملاً من شرحه في بيان فضائل عمر وأخباره وسيرته، ينقل خبراً عن أحمد بن أبي طاهر في كتابه تاريخ بغداد أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول بأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد نصّ على خلافته. وينقل في هذا السياق حواراً جرى بين عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب جاء فيه: «قال [عمر]: «... يا عبد الله عليك دماء البدن إن كنتنيتها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة»، قلت: «نعم»، قال: «أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه»، قلت: «نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ش، ج ١٢، ص ٢١). وفي خبر آخر وموضع آخر ذكر رأي الإمام علي عليه السلام في الخلافة نقلاً عن لسان عمر: روى ابن عباس قال: «خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته فانفرد يوماً ليسير على بعيره فاتبعته فقال لي: يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك سألته أن يخرج معي فلم يفعل ولم أزل أراه واجداً فيم تظن موجدته»، قلت: «يا أمير المؤمنين إنك لتعلم»، قال: «أظنه لا يزال كثيباً لقوت الخلافة»، قلت: «هو ذلك، إنه يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الأمر له»، فقال: «يا ابن عباس وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أمراً وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله..» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ش، ج ١٢، ص ٧٨). يستشف من هذه الرواية أن ابن عباس لم يشر ابتداءً إلى سبب موجدة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى يدي عمر بدلوه في هذا الموضوع ويعترف بالأمر. وفي خبر آخر نقلاً عن لسان عمر أنه قال: «..لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عدراً ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك

إشفاقاً وحيطة على الإسلام لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لا تنقضت عليه العرب من أقطارها». (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج١٢، ص ٢١).  
نقرأ في هذا النوع من الأخبار بشكل ضمني خصوصيات عمر وأنه كان يعدّ نفسه أحوط وأذكي من رسول الله ﷺ وأنه في بعض المسائل لم يكن يكثر لأوامر ﷺ.

إنّ ابن أبي الحديد، كما سيأتيك في صفحات قادمة من هذا البحث، يصرّح في كل موضع من شرحه للنهج عدم اعتقاده بالنصّ على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكنّه مع ذلك يواظب على نقل آراء المؤلفين والشخصيات التي تعتقد بعكس رأيه، ينقلها بشكل جذاب ومحبّب يشدّ إليه القارئ.

٥. مظاهر احتفالات الشيعة في عيد الغدير كما ورد في شرح النهج لابن أبي الحديد  
درج الشيعة على الاحتفال بيوم الغدير وتعظيمه عادّين إياه أعظم الأعياد التي أوصى رسول الله ﷺ بالابتهاج والسرور فيها. ما فتأت هذه الاحتفالات بعيد الغدير سنة متوارثة عند الشيعة، طبعاً في زمن بني أمية وذروة اقتدار الخلافة العباسية لم تكن الظروف مواتية للشيعة للجهر بمثل هذه الاحتفالات. ولكن مع انحسار اقتدار خلفاء بني العباس وتزايد أعداد الشيعة بدأوا بإقامة الاحتفالات الخاصة بهذا العيد، قبل أن تصبح مراسم علنية مزدهية مخفوفة بمظاهر الجلال في عهد معزّ الدولة ببغداد، فتلقّفها الشيعة وصاروا يعظّمونها بإقامة مراسم وطقوس تتمّ عن التكريم والتعظيم. ينقل المؤرّخ والجغرافي الشهير المسعودي (ت ٣٤٦هـ) عن احتفالات بيوم الغدير فيقول: «... وغدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة وولد علي رضي الله عنه وشيعته يعظّمون هذا اليوم» (مسعودي، بلا تاريخ، صص ٢٢١-٢٢٢). بعد استيلاء البويهيين على بغداد وثبتت سلطتهم في عاصمة الخلافة العباسية، أصبح الاحتفال بيوم الغدير منذ ذلك التاريخ أي ٣٥٢هـ معتاداً وتقليدياً في بغداد والمناطق التي يقطنها الشيعة



(ابن الجوزي، ١٤١٢ش، ج١٤، ص ١٥١؛ ابن الأثير، ١٣٨٥ش، ج٨، ص ٥٥٠). بيد أنه بعد زوال حكم البويهيين في أواسط القرن الخامس الهجري عادت الأمور إلى سابق عهدها ومنع الاحتفال بيوم الغدير في بغداد، إلا أن المدن ذات الأغلبية الشيعية استمرت على سيرتها الأولى في إقامة احتفالات الغدير بمهابة وجلال، ولم يمنعها تغيير الحكومات من ممارسة طقوسها. يروي ابن أبي الحديد في شرحه بعض التقارير عن احتفالات مهيبة أُقيمت بحضور جماهير غفيرة في يوم عيد الغدير بالكوفة وكذلك بالنجف قرب مشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية القرن السادس الهجري. وينقل عن ابن عالياً حواراً جرى في مجلس الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي قائلاً: «...واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير والحنبلي المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حد الإحصاء» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج٩، ص ٣٠٧). ويواصل المتحدث كلامه فيقول: «يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جهاراً وبأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة»، فلم يعجب الكلام عن هذه الاحتفالات الشيخ الحنبلي البغدادي الفخر بن إسماعيل فقال: «أيّ ذنب لهم والله ما جرّاهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذلك القبر»، فقال ذلك الشخص: «ومن صاحب القبر»، قال: «علي بن أبي طالب»، قال: «يا سيدي هو الذي سنّ لهم ذلك وعلمهم إياه وطرقهم إليه»، قال: «نعم والله»، قال: «يا سيدي فإن كان محقاً فما لنا أن نتولى فلاناً وفلاناً، وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاه ينبغي أن نبرأ إماماً منه أو منهما...». قال ابن عالياً: «فقام إسماعيل مسرعاً فلبس نعليه وقال: "لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ودخل دار حرمة وقتنا نحن وانصرفنا» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج٩، ص ٣٠٧). هذه الطريقة في سرد الأخبار وبالأخص من عالم معتزلي مشهور يقرأ كتبه الكثير من القراء تطرح أسئلة عديدة في أذهانهم وتثير فضولهم ليتحرروا المزيد عن أخبار واقعة الغدير.

كان ابن أبي الحديد يسعى إلى جذب المخاطبين من دون أن يلجأ إلى توجيه نقد لاذع للمخالفين. والسبب في اتباعه هذا الأسلوب هو لكيلا يخلق شعوراً بالتصميم عندهم، وأن يطرح أخباراً وقصصاً لم تُطرح في أوساط المذاهب الإسلامية الأخرى قط. هذا الأسلوب في التعامل مع الخبر يحضّ الذين قلّموا تعرفوا على هذه الأمور في مذهبهم على الانجذاب نحو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وآرائه.

## ٦. تمسك ابن أبي الحديد بعدم النصّ الجلي على خلافة علي عليه السلام وتأويلاته في هذا الموضوع

بعد دراسته الأخبار المتعلقة بحياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته يستنتج ابن أبي الحديد طبقاً لعقيدته المعتزلية عدم وجود نصّ صريح من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على خلافة الإمام علي عليه السلام من بعده. وحيثما وجد نصّاً صريحاً في ذلك ولم يستطع إنكار صحة سندَه لجأ إلى التبرير والتأويل. ويطرح عدم احتجاج الإمام عليه السلام بمسألة النصّ في شوري عمر المؤلفة من ستة أشخاص كدليل على عدم وجود نصّ جلي، بل يرى أنّ مجرد قبول الإمام عليه السلام الانخراط في مفاوضات الشوري يعدّ انتصاراً لرأيه (ابن أبي الحديد)، ويضيف بأنّ الإمام عليه السلام قد استعرض في الشوري المناقب والفضائل التي عدّها له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ش، ج ١٢، ص ٢٦٨). ثمّ يذكر على سبيل المثال حديث المنزلة الذي رفع منزلته على سائر الصحابة، لكنّه عليه السلام لم يُشر إلى نصّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على خلافته. وينقل المؤلف في موضع آخر عن لسان محمد بن سليمان الذي يصفه بعدم التعصّب قوله في هذا الأمر: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أهمل أمر الإمامة فلم يصرّح فيه بأحد بعينه وإنّما كان هناك رمز وإيماء وكناية وتعريض لو أراد صاحبه أن يحتجّ به وقت الاختلاف وحال المنازعة» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ش، ج ٩، ص ٢٦). وبعد نقاش طويل وبحث مفصّل مع النقيب أبي جعفر وجواباً على سؤاله حول النصّ على خلافة علي عليه السلام يقول: «... وأنّه لم يكن هناك نصّ يقطع العذر وإنّما كانت إشارة وإيماء لا

يتضمّن شيء منها صريح النصّ وإنّ علياً نازع ثم بايع وجمع ثم استجاب، ولو أقام على الامتناع لم نقل بصحة البيعة ولا بلزومها..» ثم يقول النقيب: «قد بقي بيني وبينكم قليل أنا أذهب إلى النصّ وأنتم لا تذهبون إليه». فقلت [ابن أبي الحديد]: «إنّه لم يثبت النصّ عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه أنتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة...» فقال لي وهو ضجر: «يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن يتناول قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنّها غير مرادة وأنّ المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، فإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا فيستحي أحدنا من صاحبه أو يخافه...» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج١، ص ٢٢٦). الحقيقة هي أنّ أسلوب استدلال الإمام مع المخالفين كان على نحوٍ بحيث لا يترك لهم مهرباً يفرّون منه (عباسي، ١٣٩٢ش، ص ٢٤٥). لم يكن أمام الإمام عليه السلام في محاجته المباشرة لمنافسيه والذين كانوا يعمدون إلى تأويل أحاديث رسول الله ﷺ سوى تذكيرهم بأحاديث وأقوال النبي الأكرم ﷺ فيه وكانوا يسلمون بصحّتها جميعها ولا ينكرونها، بل لم يكن بمقدورهم إنكارها، ولذلك كان يحاجهم بما هو مقبول عندهم وبما ألزموا أنفسهم به. ويقول ابن أبي الحديد: «سألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة.. فقلت له من يعني [الإمام أمير المؤمنين عليه السلام] بقوله: "كانت أثره شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين"، ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: "كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به"»، فقلت: «نفسى لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان لرسول الله ﷺ ودفع النص»، فقال: «وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث». لم يستند في جوابه إلى نصّ بل قال رحمه الله: «إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، ألا

ترى أنه سأله فقال: "كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به" فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه وهم أحقّ به من جهة اللحمة والعترة ولم يكن الأسدي يتصوّر النص ولا يعتقدده ولا يخطر بباله، لأنّه لو كانه هذا في نفسه لقال له: "لمّ دفعك الناس عن هذا المقام وقد نصّ عليك رسول الله"، ولم يقل له هذا وإنّما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة...» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٩، ص ٢٥٠).

في الحالات التي يذكر الإمام نفسه في كلامه موضوع حقيقة الخلافة بلا فصل، ولا مفرّ من إنكار هذه الحقيقة، تجد ابن أبي الحديد يلجأ إلى التبرير والتأويل، ويحاول إسقاط آراءه واعتقاداته على المخاطب، ففي شرحه لكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة رقم ١٤٤ من نهج البلاغة وهو أنّ الإمامة لا تصلح من قریش إلاّ في بني هاشم خاصة يقول: «هذا الموضوع مشكل ولي فيه نظر، وإن صحّ أنّ علياً عليه السلام قاله قلت كما قال لأنه ثبت عندي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: "إنّه مع الحقّ وأنّ الحقّ يدور معه حيثما دار"، ويمكن أن يتأوّل ويطبّق على مذهب المعتزلة فيحمل على أنّ المراد به كمال الإمامة كما حمل قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد على نفي الكمال لا على نفي الصحة...» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٩، ص ٨٨). وفي موضع آخر ومن أجل أن يتجنّب قبول كلام الإمام يشير إلى تضادّ هذا الكلام مع معتقداته، ويحتجّ بأنّ الأوضاع والظروف تصعب من قبوله، فينكر النصّ على خلافة علي: «... وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقية وهو الحق والصواب، فإنّ حملّه على الاستحقاق بالنصّ تكفيراً أو تفسيقاً لوجه المهاجرين والأنصار، ولكنّ الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها وارتكبوا بها مكباً صعباً، ولعمري إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ، ويدراً ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على البراءة...» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ش، ج ٩، ص ٣٠٧).

وقد نقلنا سابقاً ما رواه ابن أبي الحديد في ذكر أخبار خلافة عمر بن الخطاب

وعلى لسانه: «لقد أراد النبي في مرضه أن يصرّح باسمه فنعتُ من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام» معللاً منعه لهذا الأمر: «لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧ ش، ج ١٢، ص ٢٠). وكأني بالمؤلف يريد القول ضمناً أنّ رأي النبي الأكرم ﷺ هو في خلافة علي عليه السلام بلا فصل، إلا أنّ الظروف لم تسمح بذلك، وحتى عندما أراد أن يوصي بوصيته متجاهلاً الظروف المحيطة فإنّ الصحابة حالوا دون ذلك وذكّروه بخطورة ذلك. وكلامه هذا يصبّ في خانة تبرير وتأويل أفعال بعض الصحابة في إطار تبرئتهم وتلميح صورتهنّ تماشياً مع عقيدته في الصحابة. لا شكّ في أنّ عقيدة ابن أبي الحديد لا تمتّ إلى المنطق بصلّة. لأنّها بطبيعة الحال تلقي في روع المخاطب هذا السؤال: أفهل كان بعض الصحابة أدرى بمصلحة المسلمين من النبي الأكرم ﷺ نفسه؟!!

### نتيجة البحث

موضوع البحث هو أنّ ابن أبي الحديد، أحد مشاهير العلم في القرن السابع الهجري، كان يعتقد بواقعة الغدير ولكن مع اعتقاده هذا كان يرى أنّ ما جرى في هذه الواقعة لا يعدو حدود التأكيد على فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وبيان مناقبه والدعاء لأوليائه والبراءة من أعدائه. وبشكل عام، يعتقد أنّه على الرغم من أنّ واقعة الغدير تنطوي على إشارات ضمنية بخلافة الإمام علي عليه السلام وغير ذلك، إلا أنّ النبي الأكرم ﷺ لم ينصّ صراحةً على خلافته بلا فصل. كما لا يعتقد بصحة تهنئة الإمام علي عليه السلام بإمارة المؤمنين في يوم الغدير ويعتبر أنّ الإمامية تنفرد بهذا الرأي، كما ورد في شرحه لنهج البلاغة. كما يردّ عقيدة الإمامية في النصّ الجلي في الغدير وغيره على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومع ذلك يعتقد بفضل علي عليه السلام على سائر الصحابة، وأنّ أفعاله هي فصل الخطاب ومحور تمييز الحقّ من الباطل، وفي

اعتقاده هذا يتخطى حتى رأي معتزلة بغداد. كما يشير في شرحه للنهج إلى بعض القصص الخاصة بإقامة احتفالات الغدير في المناطق الشيعية في الكوفة والنجف في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع، ثم يتحدّث عن آراء بعض علماء أهل السنة في أنّ الإمام علي عليه السلام هو الذي سنّ لشيعته ذلك وعلمهم إيّاه بأقواله وأفعاله ليبين أنّ ما نقله بعض أهل الحديث من عدم وجود أي خلاف بين الإمام علي عليه السلام والصحابة أمر مردود عليهم وغير صحيح.

## المصادر

١. ابن أبي الحديد. (١٣٣٧ش). شرح نهج البلاغة (تفقيح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الأولى). قم. مكتبة آية الله المرعشي النجفي عليه السلام.
٢. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي. (١٣٨٥ش / ١٩٦٥م). الكامل في التاريخ. بيروت. دار صادر.
٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٤١٢هـ). المنتظم في الأمم والملوك (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط. الأولى). بيروت: دارالكتب العلمية.
٤. عباسي، علي أكبر. (١٣٨٨ش). معرفي، نقد و برسي شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد. السنة ١٢. العدد ١٤٧، صص ٥٧-٦٩.
٥. عباسي، علي أكبر. (١٣٩١ش). تسامح ابن ابى الحديد در شرح نهج البلاغه. مجلة تاريخ فرهنگ و تمدن اسلامي، السنة ٣. العدد ٨، صص ٥٣-٧٢.
٦. عباسي، علي أكبر. (١٣٩٢ش). سبک استدلالهاى امام على عليه السلام عليه مخالفان در نهج البلاغه. مجلة شيعه شناسي، السنة ١١. العدد ٤٤، صص ٢٣٣-٢٤٦.
٧. مسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (بلا تاريخ). التنبيه والأشرف (تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي). القاهرة: دار الصاوي.
٨. المظفر، محمد رضا. (١٣٧٧ش). دلائل الصدق (المترجم: محمد سپهري، ط. الأولى). طهران. أمير كبير.
٩. المنقري، نصر بن مزاحم. (١٤٠٤هـ). وقعة صفين (تصحیح: عبد السلام محمد هارون، ط. الثانية). القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة.

١٠. مهدي دامغاني، محمود. (١٣٦٧ش). جلوه تاريخ در شرح نهج البلاغه (مقدمة المترجم، ط. الأولى). تهران: نشر ني.
١١. واگلري، وچيا. (١٣٨٤ش). ابن ابى الحديد (المترجم: علي أكبر عباسي). مجلة دانشگاه باقر العلوم. قم، العدد ٢٢، صص ١٨٩-٢١١.